

حركة التدوين في الأندلس وتأثيرها بالمشرق

بوعافية حياة*، جامعة زيان عاشور الجلفة bouafia100820@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/6/2

تاريخ القبول: 2022/5/14

تاريخ الاستلام: 2022/2/8

الملخص:

تعتبر الأندلس من بين البلدان التي مثلت ماضيا وحاضرا له باع في تاريخ الأدب العربي، كيف لا وقد مثلت حضارة في مختلف الميادين برغم عدم استقرارها وثباتها في بادي الأمر؛ إلا أنها تمكنت من رسم معالم حضارية وثقافية لها في مجال الإبداع والتدوين في شتى الميادين الأدبية بأنواعها والطبية والفلسفية وغيرها، وكان هذا التطور نتيجة تأثرها بالمشرق في بادي الأمر. في هذا المقال؛ سنرصد البدايات الأولى للتدوين ومختلف الظروف والعوامل التي أدت إلى هذا الأمر، وبهذا نكون قد كشفنا عن جانب من جوانب الحضارة الأندلسية في شقها المعرفي المتمثل في العلم والعلماء والكتب.

الكلمات المفتاحية:

الأندلس، الولاة، الكتب، الشعر، الخطبة، الأرزجال، الموشحات، المشرق، التأثير، الرحلات العلمية، الحكم، الإبداع.

Summary

Andalusia is considered among the countries the past of a great civilization and an interesting amount of heritage of Arab literature. The history of a vast dynasty that witnessed so prosperous times and different achievements, despite its political instabilities in different eras, when it was able to draw civilized and cultural issues in the field of authorship; and creativity in literary production of all species, as well as, medical, philosophical, domains and others. This marking development was firstly the result of influence of the Orient, in this article, through which we will monitor the first beginnings and the various circumstances and factors that co-existed in those eras, and by this article we intend to reveal one of the touchingly affective sides of the Andalusian civilization in its cognitive aspect such as: science, scholars and editorship.

Andalusia, governors, books, poetry, speeches, az-zajal al muwashahat, the Orient, : **keywords** influence, scientific journeys, governance, creativity.

* بوعافية حياة

مقدمة:

بعد سيطرة العرب على شبه جزيرة أيبيريا واستوطانهم بها بقيادة طارق بن زياد بدأت تبرز ملامح الحركة الثقافية الجديدة فظهر الإنتاج في شتى المجالات التاريخية والطبية والطبيعية والفلسفية والأدبية، حيث بدأت هذه الحركة تزدهر وتتطور في القرون الأولى ولقد تأثرت بعدة عوامل كانت سببا في نشأتها وتطورها.

ولكي نتعرف على كل ما يخص حرجة التدوين طرحت عدة تساؤلات في صلب الموضوع وهي: ما معنى التدوين؟ من الجانبين اللغوي والاصطلاحي؟ وكيف نشأ عند العرب قديما وما هي أهم تطوراتها؟ ما هي الأسباب المساعدة في ازدهاره و تطوره؟ وما هو منهج العرب خاصة الأندلسيون في التدوين؟

كل هذه التساؤلات المطروحة كانت إجابتها تشكل المقال الذي سار وفق خطة تدعت بعناوين رئيسية وأخرى فرعية وهي كالآتي: العنوان الرئيسي الأول كان تحت تسمية ماهية التدوين، حيث تفرع عنه عنوان فرعي أول ألا وهو مفهوم التدوين لغة أما العنوان الفرعي الثاني كان تحت عنوان مفهوم التدوين اصطلاحا، هذا بالنسبة للعنوان الأول أما العنوان الثاني يتكلم عن مراحل نشأة وتطور التدوين عند العرب وبالضبط عند الأندلسيين ويتفرع إلى مطالب أو عناوين فرعية كل عنوان يحكي على مرحلة من مراحل التدوين بداية من العصر الجاهلي مرورا بعصر صدر الإسلام وصولا إلى العصر الذي ظهر فيه التدوين عند أهل الأندلس، حيث استوفقتنا بكثرة تأليفاتها وكتبها، أما العنوان الرئيسي الثالث كان يحكي عن أسباب التدوين وبعده منهجهم في التدوين.

كل هذه الرؤى تطرقت إليها في هذا المقال لعلني أوضح بعض الأمور المتعلقة بالتدوين عند الأندلسيين ونكون بذلك قد ساهمنا في كشف جانب من جوانب الحضارة الأندلسية في شقها المعرفي المتمثل في العلم والعلماء والكتب، وعلى ذلك يمكن حوصلة مجموعة من الأهداف على النحو التالي:

- الالتفات إلى تراثنا العربي القديم وخاصة الأندلسي منه.
- التعرف على نشأة الكتب وطرق تأليفها وإنتاجها وكل ما يتعلق بها
- معرفة النشاطات العلمية والفكرية والأدبية التي أبدع فيها كتاب الأندلس.
- تبين سمات منهج علماء الأندلس في الكتابة والتأليف.
- وقد كان المنهج المفضل الذي سار عليه البحث هو المنهج التاريخي الذي يلاءم مثل هذه الموضوعات التي تسرد الماضي وتكشف عن محطات تاريخية مهمة مر بها الأدب وفي عصور مختلفة.

2. العنوان الرئيسي الأول ماهية التدوين:

2.1 العنوان الفرعي الأول مفهوم التدوين لغة:

إذا تتبعنا لفظ تدوين في معاجم اللغة وقواميسها نجد أنها تختلف من معجم لآخر، فهي مثلا عند ابن منظور في معجمه لسان العرب تعني: لفظه دون ظرف مكان معربا. ومن معانيها مشى دونه. قعد دونه: وراءه، أي خلفه. السماء دونك: فوقك. دون قدمك بساط: تحتك..... وصل دونه: إلى هدفه أي وصل هو -لا هم- إلى هدفه. دون نقيض فوق وهو تقصير عن الغاية والدون الحقيقير الخسيس. يدي أي ضعف وقوله: أنسل الذرعان جمع ذرع وهو ولد. (ابن منظور، 2010، صفحة 455).

أما في معجم مقاييس اللغة لابن فارس فيقول عنه: ويقولون أمر دون، وثوب دون، أي قريب القيمة قال القتيبي: دان يدون دونا، إذا ضعف، وأدين إدانة وأنشدوا: وعلا الربرب أزم لم يدن أي لم يضعف وهو عنده من الشيء الدون أي العين. (بن فارس، 2007، الصفحات 1-10).

أما في مختار الصحاح فدون تعني ضد فوق وهو تقصير عن الغاية ويقال هذا دون ذاك أي أقرب منه ويقال في الإغراء بالشيء دونكه والديوان بالكسر وقد دوت الدواوين تدوينا. (الرازي، 1986، الصفحات 10-42) ومثلهم كثير مما تحدثوا عن التدوين من الجانب اللغوي، الذي يظهر من خلال استقراءنا لهؤلاء المعاجم والقواميس بأنها مأخوذة من مادة دون وهي في العموم تعني معان عدة تختلف بحسب السياق فتارة تعني الدونية وتارة تعني تحت وتارة أخرى هي نقيض فوق فالمعاني كلها متقاربة في هذه القواميس والمعاجم.

2.2 عنوان فرعي ثاني مفهوم التدوين اصطلاحاً:

أصل الكلمة هي دون ومعناها قام بكتابتها وهو تحويل أي شيء إلى كتابة، كتدوين القرآن على سبيل المثال وهي كتابة القرآن بعد تحويله من حالته السماعية إلى حالة مقروء مما يمكن الحفاظ عليها، وهو فعل يقوم بتحويل كل ما يفهمه الإنسان من حالته الأصلية سواء كانت أفكار أو مشاعر أو نقل أقوال الآخرين إلى حالة مكتوبة ويمكن قراءتها ليسهل نقله كمعلومات وحفظه إلى الآخرين (التميمي، 2015)

ونعرفها اصطلاحاً بتعريف لابن خلدون، حيث قال عن التدوين: "هو أشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهي وسيلة للتعبير عن الكلام" (ابن خلدون، 2004، صفحة 119)

إذن هي عملية إبداعية معقدة تتداخل فيها مجموعة من العوامل، إنها عملية إنتاج للغة محكومة بشروط وقوانين وقد نقسمها إلى قسمين كتابة رسمية وهي كتابة العقود والقوانين والمعاهدات وغيرها وكتابة إبداعية فنية وهي التأليف في الشعر والنثر بكل أنواعه.

3. العنوان الرئيسي الأول مراحل نشأة التدوين وأسبابه ومنهجه عند العرب الأندلسيين:

كان العرب في الجاهلية أميين، لا يعرفون القراءة والكتابة إلا قليل منهم، فلما جاء الإسلام أخذ يحضهم على تعلم الكتابة وعلى العلم والتعلم وكان اختلاطهم بعد الفتوح بالأعاجم مهيناً لهم أن يقفوا منهم على فكرة الكتاب وأنه صحف يجمع بعضها إلى بعض في موضوع معين وقد أخذوا يتحولون سريعاً من أمة أمية لا تعرف من المعارف إلا ما حواه الصدر ووعته الآذان إلى أمة كاتبة تدون معارفها العربية والإسلامية واضعة بعض المصنفات ومضيفة إلى ذلك بعض المعارف الأجنبية. (ضيف، 1995، الصفحات 451-456)

وكان من أوائل ما عنوا به من معارفهم العربية الخالصة أخبار آبائهم في الجاهلية وأنسابهم وأشعارهم من ثم يوجد بينهم كثير من علماء النسب وأصحاب الأخبار ومن أشهرهم دغفل بن حنظلة السدوسي المتوفى سنة 70 للهجرة وله مجالس عند معاوية دوت في كتاب له اسمه: "التضافر والتناصر" وهي تدور بينهما في أسلوب حوار، إذ يسأل معاوية عن قبائل العرب دغفل عبارات بليغة، وقد احتفظ الجاحظ منها في بيانه ببعض إجابات طريقه (الجاحظ، 2006، الصفحات 121-247)

فقد طور العرب الشماليين ونمو الخط النبطي وتطوروا به إلى خطهم العربي منذ أوائل الجاهلية أو لعلمهم وصلوا إلى ذلك قبل فجرها، فقد وجدت نقوش مختلفة تشهد بذلك، ونرى شعراؤهم يشيع عندهم تشبيه الأطلال ورسوم الديار بالكتابة ونقوشها من مثل قول المرقش الأكبر: (ضيف، 1995، صفحة 138)

الدار قفر والرسوم كما رقص في ظهر الأديم قلم

ويقال أنه كان يحسن الكتابة وأنه كتب بعض الرحال قصيدة له حين وقع أسيراً في يد بعض العرب ويقول سلامة بن جندل:

لمن طلل مثل الكتاب المنمق خلا عهده بين الصليب فمطرق

(الأصفهاني، 1991، صفحة 130)

وعله يقصد بالكتاب الصحيفة ويقول لبيد بن ربيعة في مطلع معلقته: (الأصمعي، 1942، صفحة 146)

عفت الديار محلها فمقامها بمعنى تأبد غولها فرجامها
فمدافع الريان عرى رسمها خلقا كما ضمن الوحي سلامها
وجلا أسيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقالمها

بالرغم من هذه الحالات التي تنبأ بمعرفة الكتابة أو ما شابهها من نقوش ورسوم إلا أن شوقي ضيف له رأي آخر في ذلك حيث - العرب - لم يذكر عنهم أنهم فكروا فعلا في تدوين أشعارهم إنما هي قطع تكتب على حجر أو جلد لإنشاء القبيلة أو لعض أفرادها بحادث، وقد نفى شوقي ضيف أنهم قد يكونوا علقوا المعلقات في الكعبة وكذلك رفض رواية حماد عن تدوين النعمان بن منذر لأشعار العرب وما مدح به هو وأهل بيته ومن الأدلة على ذلك أننا لا نجد رواية ثقة يزعم أنه نقل عن قراطيس كانت مكتوبة في الجاهلية ، كما أننا لا نجد رواية ثقة يزعم أن شاعرا في الجاهلية ألقى قصيدته من صحيفة مدونة ، إنما كانوا ينشدون شعرهم إنشادا ، ومن كان منهم يعد قصيدته في حول أو أقل من حول كان يعدها في نفسه ويردها في ذاكرته ثم ينشدها ويحملها للناس عنه (ضيف، 1995، صفحة 158)، يقول الجاحظ في هذا المضمار مؤكدا على أن ما قام وجاء به العربي من أشعار وخطب فهو إلهام مبني على البديهة والارتجال يقول : "وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام... فما هو إلا أن يصرف العربي وهمه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذي إليه يقصد ، فتأتيه المعاني إرسالا (أفواجا) وتنثال عليه الألفاظ انثيالا ، ثم لا يقيده على نفسه (الجاحظ، 2006، صفحة 68)

فرغم معرفة عرب الجاهلية بالكتابة فإنهم لم يستعملوها في حفظ تراثهم ونقله لأجيالهم اللاحقة، بل اعتمدوا في ذلك على الرواية الشفوية ، فالشعر والنثر الجاهلي انتقلا جيلا بعد جيل مشافهة، فقد كان العرب بطبيعتهم أثبت الناس حفظا وأتمهم حافظة وكانت الكتابة غير طبيعة في نظامهم الاجتماعي إلى أن جاء الإسلام وظهرت الحاجة إلى تدوين القرآن الكريم في عهد الرسول وقد مر بثلاث مراحل عهد الرسول وتم تدوينه في السعف والحجر والعظام .

وعهد أبي بكر الصديق جمع في كتاب واحد وعهد عثمان نسخ القرآن بالرسم القرآني وقد تأخر تدوين الحديث إلى نهاية القرن الأول وسبب هذا التأخير هو أن النبي نهي من كتابة حديثه لكي لا يختلط بالقرآن وعندما جمع القرآن واطمأنت النفوس لعدم اختلاطه بدأ تدوين الحديث النبوي الشريف في عهد عمر بن عبد العزيز . (بوسدر، 2017)

ومنه نقسم التدوين بعد مجيء الإسلام عند العرب الأندلسيين بثلاث مراحل هي :

- مرحلة التدوين الأولى :

تبدأ مع بداية العهد الأموي وتستمر حتى نهايته في مطلع القرن الثاني الهجري وكان اهتمام التدوين فيها متجها بصورة خاصة مجددة من السيرة النبوية الشريفة.

فأصول هذا العلم كانت منذ عهد الرسول و الصحابة ولكن التأليف فيه بدأ متأخرا نوعا ما ، حيث ظهرت مباحثه متفرقة بين المصنفات حتى جاء الإمام عبد الرحمن بن خلاد، فألف كتاب المحدث الفاصل بين الراوي والواعي وكان قليل المباحث، وبعده ألف محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري معرفة علوم الحديث وكان ناقص الترتيب وبعده ألف الخطيب البغدادي الكفاية في علم الرواية ثم جاء ابن صلاح فجمع ما تفرق واستدرك بعض المسائل في كتابه علوم الحديث المشهور بمقدمة ابن الصلاح. (حسين، 2001، صفحة 327)

إضافة إلى الخطبة التي ظهرت في هذه الفترة فكانت وليدة الفتح واستدعت الكثير من الغزوات التي قام بها العرب المسلمون باستنهاض الهمم وإذكاء روح الحماسة إلى الجهاد في سبيل الله ، وعندما تمزقت البلاد وأصبحت عبارة عن دويلات متعددة استعان كثير من أصحابها بالأعداء، كان الخطباء يقفون بالمحافل العامة للدعوة لترك التناحر ولم الشمل، ومنذ عصر المرابطين حتى آخر أيام المسلمين بالأندلس ظهرت الخطب المنمقة والتي تشمل التورية بأسماء القرآن الكريم (544)هـ التي قال فيها : الحمد لله الذي افتتح

بالحمد كلامه وبين بسوره البقرة أحكامه ومد في سورتي آل عمران النساء المائدة الأنعام لكي يتم إنعامه "فما لوحظ هنا على أسلوب النثر هو الميل الشديد للإطناب واستعمال محسنات البديعية بكثرة والاتجاه الشديد للتضمنين من القرآن والسنة و الأمثال العربية و استشهادا تم الكثير بالشعر العربي (العبادة، 1995، صفحة 9)

- مرحلة التدوين الثانية:

وتبدأ من مطلع القرن 2 الهجري حتى نهايته تقريبا في هذه المرحلة اهتم الأخباريون بجمع الأخبار المختلفة فوجد المؤرخون في هذا المجال ميادين هامة لفعاليتهم الفكرية والثقافية ومواضيع مهمة للناس من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فظهرت العديد من الكتب والرسائل التاريخية التي تعتبر شكل من أشكال النثر الشائعة وقد ظهرت منذ القرن الأول من الفتح واستمرت و بها أغراض معينة أملت ظروف العصر، وكان لا يلتزم فيها توشية أو سجع ثم حظيت كتابة الرسائل بكتاب أغلبهم من فرسان الشعر استطاعوا بما جاءوا من ذوق أدبي وموهبة شعرية أن يرتقوا بأساليب التعبير وأن يقوموا بمعالجة مختلف الموضوعات فظهرت الرسائل المتنوعة ومنها الإخوانية و الديوانية (جبريل، 2020).

وقد شاع استخدام لفظ كتاب عوضا عن الرسالة، كما جاء في رسالة جوايية كتبها ابن عبد البر لأحد إخوانه يعبر فيها عن مدى إعجابه بأدبه.

- مرحلة التدوين الثالثة:

امتدت هذه المرحلة من القرن 3 الهجري إلى آخر القرن السادس خلالها توطد علم التاريخ العربي الإسلامي وتوطدت مناهجه في التدوين من حيث الاعتماد على التسلسل الزمني وظهرت مؤلفات متخصصة ككتب التراجم والطبقات المتنوعة كطبقات الأدباء وطبقات الأطباء والرسائل والممالك وظهرت أيضا الموسوعات التاريخية الكبيرة وشهد ظهور حركة الترجمة والتطور الحضاري الذي حصل في العصر العباسي الأول، حيث كان لها الدور البارز أيضا في إذكاء حركة التدوين التاريخي خاصة بعد اهتمام الحكم بحركة الترجمة؛ حيث تمت خلال هذه الفترة ترجمة أهم الكتب اللاتينية إلى اللغة العربية، ومن بينها الكتب التاريخية (الضاوي، 2007، صفحة 37)

وكان من أهم هذه الكتب التي تمت ترجمتها كتاب هيرشيوش والذي يقال أنه ورد ضمن هدية الإمبراطور إلى الأمير عبد الرحمان الناصر، وبطلب من الحكم تمت ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية وقد قام بترجمته كل من قاضي النصارى و قاسم بن إصبع شيخ العصر (الضاوي، 2007، صفحة 64).

كما قام بعض العلماء الذين وفدوا إلى المشرق، وهذا ما جعلهم يتعرفون على تاريخ شبه الجزيرة وجغرافيتها مع الكثير من أخبار و معلومات حول الشعوب التي استوطنت هذه البلاد منذ زمن قديم (الشكعة، 2009، صفحة 503).

ويمكن القول هنا أن هذه الفترة مثلت مرحلة استقلال النثر الفني عن الكتابة الديوانية حيث يتخذ له موضوعات من الحياة تشبه موضوعات الشعر؛ حيث أصبح النثر يعتمد على الخيال كما في رسالة ابن شهيد و بعض رسائل ابن الأصغر كرسالة المفارقة بين السيف والقلم (عباس، 1960، صفحة 299)

فقد سار الأدب الأندلسي في الطريق الذي سار فيه الأدب العربي في المشرق فكانوا يحاكونه - إضافة إلى النثر- في مجال الشعر أيضا (نفس الوزن والقافية والانتقال من موضوع إلى موضوع). كذلك اشتهر فوج من الشعراء حتى في عصر الاضطراب مثل الرمادي و مثل ابن برد و مثل أمير كان مكفوبا عن أمور السياسة، هو عبد الرحمان الخامس الملقب بالمستظهر بالله، وقد قال ستة أبيات رائعة رواها السلف فخلد بها : (شلي، دراسات في الأدب الأندلسي، 1973، الصفحات 62-63)

طال عمر الليل عندي مذ تولعت بصدى

يا غزالا نقض العهد و لم يوف بوعدى

أنسيت العهد إذ بتنا على مفرش ورد

وأسماء كثر من الشعراء، إذا ذكرتها كلها أثقلت على كاهل البحث؛ حيث أنشأت قصائد لا حصر لها في مدى ثمانية قرون، منها ما هو جليل، ومنها ما هو رائع، ومنها ما هو جدير بالإعجاب أحيانا؛ ولكنها في مجموعها ليست في أكثر الأحيان إلا صورة على شيء غير قليل مأخوذة عن إنتاج المشرق العربي في عصره الأدبي الذهبي خاصة.

كثير من شعراء الأندلس بحكم انتماءهم إلى العربية و انتسابهم إلى آبائهم وأجدادهم من المشاركة واتكأهم معهم على لغة وتراث واحد يتشابهون مع أقرانهم من شعراء المشرق، فهم يصورون طبعهم الأصيل في صدق وأمانة ولو فعلوا غير ذلك لجاء أدهم مسوحا دون صدق وأصالة (الكاك ع.، 2015، صفحة 9)

إذا التأثر أو المعارضة والمحاكاة شاهد الأصالة وأمانة الفطنة يقول الدكتور محمد غنيني هلال: "وعلاقة المتأثر أو المحاكي ليست علاقة التابع بالمتبوع ولا علاقة الخاضع المسود بسيده بل علاقة المهتدي بنماذج فنية أو فكرية، يطبعها بطابعه ويضفي عليها صبغة قوميته (هلال، 1963، الصفحات 106-107) .

ومما وصل إلينا من الشعر الأندلسي خاصة في مجال المعارضة قول شاعر :

و كيف أبالي والزمان قد انقضى و عظمي مهيض والمكان شطير

و إني وإن أظهرت مني تجلدا لذوا كبد حرى عليك حسير

فالشاعر الغزال هنا في مجال التحسر على شبابه وعدم اليأس من عودته إلى ديار أحبابه يبدوا متأثر بقول أبي نواس حين قال :

أجارة بيتينا أبوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير

ولم يكن الغزال وحده في ميدان المعارضة بل شاركه ابن دراج القسطلبي واصفا فراق زوجته ووليدته وما ألم به من شدة الوجد وألم يقول:

ولما تدانت للوداع وقد هما بصبري منه أنة وزفير

تناشدني عهد المودة والهوى وفي المهدي مبعوم النداء صغي

إن تاريخ الشعر العربي في الواقع يقدم كثيرا من الأمثلة على مثل هذه التغيرات العامة التي قد تحدث إما سريعا ودفعه واحدة أو خلال فترة قصيرة من الزمن فلا يمكن للاتجاه الجديد أن يتم نتيجة الميل محاكاة عند جيل بأكمله من الشعراء بل نتيجة قابلية في الفن واستعداد كامن فيه لتمثل هذا النوع من التغير في هذا المنعطف الزمني المعين، وقد يكون التغير في الشعر في اتجاه معين أمر لا مفر منه، وهكذا فإن ما حسبه كثير من النقاد ومؤرخي الأدب قضية محاكاة واتباع في الشعر الأندلسي قد لا يكون سوى علامة على أن الشعر العربي كان في حاجة إلى أن يتطور تطورا متماثلا في تلك المواطن من العالم الناطق بالعربية التي تشابهت فيها الحياة بوجه عام (مجهول م.، 1995، صفحة 659).

ولا يستثنى من ذلك الموشحات التي تتألف من مطلع ومجموعة أدوار وخرجة، فالمطلع هو القفل الأول أما الدور فيتألف من مجموع القفل والغصن، وبأبي القفل على سمط أو اثنين أو أكثر، وكذلك الغصن، أما الخرجة فهي القفل الأخير من الموشح، وقد نظم الوشاحون في أغراض مختلفة وظهرت أسماء لامعة كان أغلبهم شعراء أمثال أبي بكر عبادة بن ماء السماء (ت422هـ) وابن اللبانة (ت507هـ) والأعمى التطيلي (ت520هـ) وابن زهر الحفيد (ت668هـ) وغيرهم كثير .

فإذن فن التوشيح نسب لشعراء الأندلس حيث ولد هناك ونما واكتمل ونقل إلى المشرق فيما بعد. (مؤنس، الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس، 1996، صفحة 31).

إضافة إلى فنون الشعر الأندلسي المتطورة المتمثلة في الأراجيز التاريخية كأرجوزة يحيى ابن الحكم الغزال (ت250هـ) شاعر عبد الرحمان الثاني (الأوسط) وهي فتح الأندلس وتسمية ولائها والخلفاء فيها ووصف حروبها ، وأرجوزة ابن عبد ربه في مغازي عبد الرحمان الثالث وأرجوزة أبي طالب عبد الجبار (القرن الخامس الهجري) وكان مواطنوه يلقبونه بالمتني وقد قصر شعره على الوصف والحرب والتاريخ ، وأرجوزة لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ).

أما الأراجيز العلمية نجد أرجوزة ابن عبد ربه في العروض وأرجوزة الشاطبي القاسم بن فيرة (ت590هـ) في القراءات وعنوانها حرز الأماني، وألفية بن مالك (ت672) في النحو، وأرجوزة لسان الدين بن الخطيب أيضا في الأغذية المفردة المسماة المعتمدة. إذا تتبعنا تطور الكتابة التاريخية عند العرب وبالضبط عند الأندلسيين نجدها عملية في غاية الصعوبة كون أغلب المصادر المؤلفة خلال عصري الإمارة والخلافة قد فقدت باستثناء القلة القليلة من الكتب نذكر أهمها كتاب أخبار مجموعة لمجهول وكتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ، وأقدم كتب التاريخ في الأندلس المسمى بكتاب التاريخ المنسوب لعبد الملك بن حبيب وكتاب "القضاة بقرطبة" لمؤلفه محمد بن الحارث الحشني المتوفى سنة 360هـ، وكتاب آخر في تاريخ الأندلس هو "تاريخ افتتاح الأندلس" للعالم الأندلسي أبي بكر محمد القرطبي المعروف بابن القوطية توفي سنة 367هـ (ابن الفرضي، 2015، الصفحات 2-3)، وكتاب طبقات النحويين و اللغويين للزبيدي، إذ ذكر في مقدمته أن الخليفة أمره بتأليف هذا الكتاب قال : "فألفت هذا الكتاب على الوجه الذي أمرني به أمير المؤمنين وأمدني - أبقاه الله في ذلك - بعنايته إذ هو البحر الذي لا تعبر أواذيه ولا تدرك سواحله ولا يترج غمره ولا تنضب مادته" (مسعد، الوراقة والوراقون في الأندلس ، 2000، صفحة 7).

1.3 العنوان الفرعي الأول: أسباب التدوين وازدهاره في الأندلس:

تضافرت مجموعة من الأسباب التي أدت إلى تدوين الكتب في شتى المجالات في الأندلس وانتعاشها من بينها :
- الطبيعة الأندلسية : وتتمثل في مناخها وجوها وجبالها وتربتها نباتها وأثمارها، فقد حباها الله تعالى بما يجذب إليها الأنظار ويجمع حولها القلوب والأرواح ، يقول المقرئ : "وقال الرازي إن الأندلس في آخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة ، التي هي معمور الدنيا ، فهي موسطة بين البلدان، كريمة البقعة ، بطبع الخلقة ، طيبة التربة ، مخصبة القاعة ، منبجسة العيون الثرار ، متفجرة بالأثمار الغزار ، قليلة الهوام ذوات السموم، معتدلة الهواء أكثر الأزمان، لا يزيد قيطها زيادة منكرة تضر بالأبدان، وكذا سائر فصولها في أعم سنيها تأتي على قدر من الاعتدال ، وتوسط من الحال ، وفواكهها تتصل طوال الزمان فلا تعدم ،... ومن بحرها بجهة الغرب يخرج العنبر الجيد وبها شجر الحلب وقد زعموا أنه لا يكون الا بالعند وبها فقط ، ولها خواص نباتية يكثر تعدادها." (المقرئ، 2014، صفحة 140).

- التنافس الأدبي بين الأندلس والمشرق :

كان التأثير بالمشرق واضحا لأهم يسبقون الأندلس بحوالي قرن ونصف القرن من الناحية الثقافية والأدبية ؛ وهذا ما نلاحظه، حيث كان المشرق في ذلك الحين هو المصدر الأول للاتجاهات الثقافية والأدبية، وهذا ما نلمحه في قول الدكتور "محمد رجب البيومي" يقول: كان المشرق أستاذ الأندلس تتطلع إليه في إخلاص ورغبة، ولا تحاول قبل عصر الناصر أن تقيس نفسها به بل كبرى منهاها أن تحرز نفائس مؤلفاته وروائع آثاره و أن يغذ أبنائها إلى الارتشاف من حياضه، والري من موارده ، فإذا وفد عليهم وافد من أعلام المشرق تطلعت إليه العيون في إكبار و أقعد مقعد الأستاذ عن فخر واعتداد، واستمر الحال كذلك إلى أن جاء عهد الناصر

وولده الحكم، فكانا بالأندلس بمكان الرشيد وولده المأمون بالمشرق؛ فإنهما قد رسما الطريق للناصر وولده الحكم بالأندلس أن يقفوا أثرهما في هذا المجال المديد". (الضاوي، 2007، الصفحات 30-32).

فكانت الأندلس تحاول بكل ما تملك من طاقات خلاقة وجهود شاقة أن تكون مستقلة كل الاستقلال عن المشرق، فلا تكون ذيلا في مؤخرته، ولا ذنبا في عجزه، ولا عالة عليه، ومنذ ذلك اليوم عملت على أن تنافسه في الحضارة وتسابقه في العمران وتباريه في النهوض وتجاريه في الأدب... وكانت هذه الروح الجبارة كفيلة بأن تحقق للأندلس معنى الاستقلال الفكري والأدبي" (أبو الخشب، 1966، الصفحات 73-74).

– الرحلات العلمية: لقد بدأت الرحلات العلمية من قبل الأندلسيين إلى مختلف المراكز العلمية ببلاد المشرق والمغرب منذ مرحلة مبكرة، وذلك بداية من المنتصف الثاني للقرن الثاني للهجرة، فقد كان الأندلسيون يرحلون إلى المشرق ويسعون إلى اكتساب العلوم المشهورين بهم في المشرق، فكانت الرغبة العلمية متبينة من شخص لأخر فمنهم من يطلب الفقه والحديث ومنهم من يطلب اللغة والأخبار. (الضاوي، 2007، الصفحات 30-32)

– تشجيع الخلفاء والحكام والولاة للعلماء والأدباء:

كان في هذه الفترة الحكم يقترح على العلماء القيام بتأليف كتب في موضوعات معينة، ومثال ذلك كتاب طبقات النحويين واللغويين للزبيدي، إذ ذكر في مقدمته أن الخليفة أمره بتأليف هذا الكتاب قال: "فألفت هذا الكتاب على الوجه الذي أمرني به أمير المؤمنين وأمدني- أبقاه الله في ذلك- بعنايته إذ هو البحر الذي لا تعبر أواذيه ولا تدرك سواحله ولا يترح غمره ولا تنضب مادته" (مسعد، الوراقة والوراقون في الأندلس، 2000، صفحة 7).

ويؤكد الاشيلي ذلك بقوله: "وفي أيامه - المستنصر - كثر العلماء وأدلو بما عندهم وألفت التواليف وصنفت التصانيف" (الحميدي، الصفحات 240-244)، وقد سار المنصور بن أبي عامر على خطى الخليفة الحكم في حثه العلماء على تأليف الكتب ومنحهم الهبات والعطايا، كما شجع وفود علماء مشاركة إلى الأندلس وحثهم على تأليف كتب جديدة ربما لا تقل أهميتها عن الكتب التي ألقت قبله، لقد أسهم هذا التشجيع في تربية فكريهم والنهوض بهم وصقل أذواقهم، وتعمقهم في الفنون والآداب لم يكن لديهم مدارس تعينهم على طلب العلم بل كانوا يقرؤون جميع العلوم في المساجد بأجرة، وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء، إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لهما حظا عظيما عند خواصهم، وقد كانوا يطلقون على الكاتب والنحوي واللغوي فقيها، حيث كان لقبا للعلماء والأدباء الكبار.

– وعي الحكام بقيمة الأدب وتدوينه :

لقد أدرك كبار رجال الأندلس أهمية الأدب في جذب وتجميع القلوب، والعقول حولهم، لتثبيت دعائم حكمهم والنهضة ببلدهم وكان إمامهم في ذلك المشرق فاستقدموا واستنبتوا العلماء والأدباء مغدقين عليهم الأموال مجزلين لهم العطايا والهبات، وكانت هذه السنة التي استنها الأندلسيون كفيلة أن تجعل أدبا رفيعا، وتراثا عقليا رائعا، ونتاجا فكريا محترما تشع منه حضارة وينتدئ منه تاريخ (أبو الخشب، 1966، صفحة 75).

وانطلاقا من هذه الأهمية البالغة للأدب بدأ التدوين فيه الذي يعد العمود الفقري للعلوم الإنسانية وعنه كتب الدكتور محمد السلمي في مدونته حيث قال: "التاريخ فن من الفنون المحبة إلى النفوس وهو علم له أصول وقواعد وله مصادر متعددة ومناهج مقرررة عند علماء الإسلام وهو يعتني بمعرفة أخبار الماضين وتحليل الحاضر واستشراف المستقبل على ضوء السنن الإلهية التي تحكم سير حركة التاريخ وفق مشيئة الله وقدره وهذه السنن مرتبطة بالأمر والنهي الرباني والاستقامة على ذلك أو عدمها (شاكر، 1984، الصفحات 193-196)

2.3 العنوان الفرعي الثاني: منهج التدوين الأندلسي:

لقد تعدد صور الكتابة التاريخية بشكل واضح ولم تستمر على نفس الشكل البسيط الذي كان أيام العرب وتمثل مناهجها فيما يلي :

هناك كتب قامت على علم الطبقات للرجال والنساء ونوع آخر من الكتب قام على التراجم وكتابة السير المرتبة على حروف المعجم وكتب أخرى كتبها مؤلفوها على تسلسل السنين والأعوام والحوليات وحوادث السنين والأيام. وهناك كتب معنية بالبلدان مثل تاريخ فنوح البلدان للبلاذري (ت.279هـ) وأخرى مرتبة على البلدان مثل تاريخ ابن حيان (ت.354) عن مشاهير علماء الأمصار، أو مخصصة لعلماء بلد مثل تاريخ جرجان لأبي قاسم حمزة السهمي وتاريخ دمشق لابن عساكر وغير ذلك من فنون وأنواع الكتابات التاريخية الواسعة لدى المسلمين عبر عصورهم كما هي -على سبيل المثال- رحلات ابن جبير (ت.614) ورحلات ابن بطوطة (ت.779) ودين الإسلام بدوافعه المتعددة محفز على الإثراء المعرفي (السلمي، 2016، صفحة 93).

4. خاتمة:

نستخلص مجموعة من النتائج وهي كالتالي :

- إذا تتبعنا لفظة تدوين في القواميس والمعاجم العربية نجدها تختلف من معجم إلى آخر وهي في مجملها من الفعل دون ومعناه قام بفعل الكتابة وتختلف بحسب السياق في معناها
- أما اصطلاحاً فلفظة تدوين تختلف من رأي لآخر ، فهي مثلاً عند ابن خلدون عبارة عن أشكال حرفية تدل على كلمات، فالتدوين عبارة عن عملية إبداعية معقدة
- مر التدوين بمراحل عديدة ابتداء بالعرب في العصر الجاهلي ، حيث كانوا لا يعرفون القراءة والكتابة حتى مجي الإسلام الذي أخذ يحثهم على تعلم الكتابة
- أول ما كتب العرب هي أخبار آبائهم في الجاهلية وأنسابهم وأشعارهم.
- ورغم معرفة العرب في الجاهلية بالكتابة إلا أنهم لم يستعملوها في حفظ تراثهم ونقله لأجيال لاحقة بل اعتمدوا في ذلك على الرواية الشفوية.
- وانقسم التدوين إلى ثلاث مراحل بزغ فيهم الأدب العربي خاصة الأندلسي فكتبوا في الشعر والنثر والخطبة والسير وغيرها
- كانت هناك أسباب ساعدت التدوين في الظهور وبعدها في الازدهار كالطبيعة الأندلسية والتنافس الأدبي والتأثير الحاصل بينها وبين المشرق.
- وكذلك من بين الأسباب أيضاً الرحلات العلمية إلى بلاد المشرق ودورها في نشر وطلب المعرفة في مختلف العلوم كالفقه والحديث واللغة وغيرها.
- إضافة إلى تشجيع الحكام للتدوين وإغرائهم بالمال والجاه والمنصب.
- اعتمد الباحثون في التدوين على منهج محدد فصوروا أنماطاً للكتابة ولم يكتبوا بذلك بل حاولوا إدراج كتبهم على منهج متعددة تختلف باختلاف نوع الكتاب والتدوين

6. قائمة المراجع:

- ابن خلدون. (2004). المقدمة (المجلد ط1). دمشق: دار يعرب.
- ابن منظور. (2010). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

- إبراهيم علي أبو الخشب. (1966). تاريخ الأدب العربي في الأندلس (المجلد ط1). دار الفكر العربي.
- أبو فرج الأصفهاني. (1991). الأغاني (المجلد ط2). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- إحسان عباس. (1960). تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة (المجلد 1). بيروت: دار الثقافة.
- أحمد بن فارس. (2007). معجم مقاييس اللغة. دار الفكر.
- الأصمعي. (1942). الأصمعيات. مصر: دار المعارف.
- الجاحظ. (2006). البيان والتبيين. مكتبة الخانجي.
- الحميدي. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس. القاهرة: دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري.
- المقري. (2014). نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب (المجلد ط1). الإمارات: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة.
- بوطاهر بوسدر. (10، 12، 2017). تاريخ الكتابة والتأليف عند العرب. تم الاسترداد من alukah.net.
- حسين مؤنس. (1996). الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس (المجلد ط2). القاهرة.
- زهرة إبراهيم الضاوي. (2007). التدوين التاريخي بالأندلس وتطوره خلال فترة الحكم الأموي. كلية الآداب والعلوم، التاريخ. ليبيا: جامعة المرقب.
- سامية مسعد. (2000). الوراقة والوراقون في الأندلس (المجلد ط1). القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- سعد شلبي. (1973). دراسات في الأدب الأندلسي (المجلد ط1). عمان، الأردن: دار المسيرة.
- شوقي ضيف. (1995). تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي - (المجلد ط1). مصر: دار المعارف.
- عبد القادر حسين. (2001). المختصر في تاريخ البلاغة. القاهرة: دار غريب.
- عبد العزيز عتيق. (2005). الأدب العربي في الأندلس. دار الأفاق العربية.
- عبد الفتاح داود الكاك. (2015). الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثير.
- عثمان محمد العبادلة. (1995). دراسات في الأدب الأندلسي (المجلد 2). القاهرة: دار النهضة العربية.
- ليلي جبريل. (10 سبتمبر، 2020). الأدب الأندلسي عصره وأهم مصادره. تم الاسترداد من makal.com.
- م. مجهول. الشعر الأندلسي العلاقة مع المشرق. مجلة رؤى. (1 يونيو، 1995)، 659.
- محمد بن أبي بكر الرازي. (1986). مختار الصحاح. بيروت: مكتبة لبنان.
- محمد بن صامل السلمي. (20 أبريل، 2016). منهج القراءة في كتب التاريخ. 93. جامعة أم القرى.
- محمد رضوان الدايدة. (2000). في الأدب الأندلسي. بيروت: دار الفكر المعاصر ودار دمشق السورية.
- محمد غنيمي هلال. (1963). الأدب المقارن. القاهرة: المطبعة العالمية.
- محمود محمد شاكر. الفتنة الكبرى. مجلة الرسالة. ع763، (فبراير، 1984)، الصفحات 193-196.
- مصطفى الشكعة. (2009). مناهج التأليف عند العلماء العرب (الإصدار العاشر). الاسكندرية: دار الملايين.
- مؤلف مجهول. (8، 2، 2012). التدوين التاريخي عن العرب المسلمين. تم الاسترداد من startime.com.
- يزيد التميمي. (24 مارس، 2015). السؤال المتكرر، ماهو التدوين؟ وما معنى مدونه. تاريخ الاسترداد 8 يناير، 2017، من yazeed.me.